

The siege of the city of Thessaloniki and its fall by the Ottomans Between 1422-1430

Dr. Suhail Zoukar^{*}
Nadeem khalil laika^{*}

(Received 7 / 5 / 2019. Accepted 8 / 8 / 2019)

□ ABSTRACT □

The city of Thessaloniki became under the control of the Ottomans and remained in their hands from 1387 until 1403, after the Battle of Ankara and the Treaty of Gallipoli, which resulted in the Turks giving up the city for the Byzantines, but with the arrival of Murad II, who entered a conflict with his brother, Mohammed Shalabi in 1422, where supported the Byzantines Muhammad against his brother Murad Murad after he took control of the Ottoman Empire on the siege of Salonika and wanted to regain control at a time when the city suffers from lack of resources to defend it.

In early 1430, Sultan Murad II besieged Thessaloniki with large numbers of soldiers. The siege of the city led to hunger, death and the emigration of large numbers of inhabitants. The Ottomans then took control of the city and the Venetian Treaty of Peace was signed by the Ottomans. Take control of Albania.

^{*} Professor, Department of History, University of Damascus, Damascus, Syria.

^{*} Postgraduate student (PhD) - Department of History - University of Damascus - Damascus - Syria.

حصار مدينة سالونيك وسقوطها بيد العثمانيين بين عامي 1422-1430م

- د. سهيل زكار
- نديم خليل لايقة

(تاريخ الإيداع 7 / 5 / 2019. قبل للنشر في 8 / 8 / 2019)

□ ملخص □

وقعت مدينة سالونيك أدارياً تحت سيطرة العثمانيين وقيمت بأيديهم من عام 1387م حتى عام 1403م، بعد معركة أنقرة وعقد اتفاقية غاليبولي والتي أفضت عن تنازل الأتراك عن المدينة لصالح البيزنطيين، إلا أنه ومع قدوم مراد الثاني الذي دخل في صراع مع أخيه محمد شلبي عام 1422م، دعم البيزنطيون محمد شلبي ضد أخيه فعمد مراد الثاني بعد توليه حكم الدولة العثمانية إلى حصار سالونيك وأراد استعادة السيطرة عليها في الوقت الذي كانت تعاني فيه المدينة من قلة الموارد اللازمة للدفاع عنها.

وفي أوائل عام 1430م تمكن السلطان مراد الثاني من حصار سالونيك بأعداد كبيرة من الجنود أدى حصار المدينة إلى حالات جوع وموت وهجرة أعداد كبيرة من السكان وسيطر العثمانيون بعد ذلك على المدينة وأبرمت البندقية معاهدة سلام مع العثمانيين اعترفت بموجبها بالوضع الراهن، وتحول الصراع والتنافس بين العثمانيين والبنادقة حول السيطرة على ألبانيا.

• أستاذ-قسم التاريخ-جامعة دمشق-دمشق-سورية.

• طالب دراسات عليا (دكتوراه)- قسم التاريخ- جامعة دمشق-دمشق-سورية.

مقدمة

خلال القرن الرابع عشر كانت الدولة العثمانية قوة ناشئة في الشرق بعد السيطرة على الجزء الأكبر من الأناضول، والاستيلاء على غالبيولي عام 1354م حيث اكتسب العثمانيون موطناً لهم في البلقان، كانت القوى المسيحية في المنطقة لا سيما الإمبراطورية البيزنطية متدهورة، ومنقسمة، وضعيفة، مما سمح للعثمانيين بالتوسع في جميع أنحاء المنطقة، حيث تمكن العثمانيون عام 1369م من السيطرة على مدينة أدرنة ثالث أهم مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد العاصمة القسطنطينية ومدينة سالونيك، التي كان يحكمها الأمير البيزنطي، والإمبراطور المستقبلي مانويل الثاني 1391-1425م، والذي سلم المدينة للعثمانيين عام 1387م بعد حصار طويل، وقد سمح العثمانيون في البداية للمدن التي تمت السيطرة عليها بالحكم الذاتي الكامل مقابل جزية سنوية.

وعند وفاة الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس فرّ مانويل الثاني الذي كان لدى العثمانيين وتوجه إلى القسطنطينية وتوج نفسه إمبراطوراً خلفاً لوالده مما أغضب السلطان العثماني بايزيد الأول الذي عمل على السيطرة على بقية الأراضي البيزنطية واستولى على نيقوبوليس ودمرها، وأعلن سيطرته المباشرة على سالونيك مع أنه سمح للمسيحيين داخل المدينة والكنيسة بالاحتفاظ بمعظم ممتلكاتهم.

بقيت سالونيك بيد العثمانيين حتى عام 1403م، عندما وقف الإمبراطور مانويل الثاني مع سليمان ابن بايزيد في الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين ابناء بايزيد عقب معركة أنقرة التي هزم فيها العثمانيون أمام المغول بقيادة تيمورلنك عام 1402م، فقد استعاد الإمبراطور البيزنطي مانويل سالونيك وغيرها من المناطق الأخرى.

فعلى الرغم من استعادة البيزنطيين سالونيك إلا أن العلاقات بين سالونيك والقسطنطينية بقيت مضطربة، فقد كانت الطبقة الأرستقراطية داخل المدينة تسعى نحو حماية مصالحها، والتي بلغت حد الاستقلال الذاتي، وبذلك عند عودة السيطرة البيزنطية على سالونيك والمناطق المحيطة بها فقد عدت إقطاعية مستقلة تحت حكم يوحنا السابع باليولوجس، وخلفه بعد وفاته عام 1408م أندرونيكوس باليولوجس، الذي سادت خلال حقبة حكمه حالة من السلام والازدهار النسبي، نتيجة انشغال العثمانيين في الحرب الأهلية الداخلية، على الرغم من تعرض سالونيك بين وقت وآخر لهجوم من قبل المتنافسين على الحكم العثماني كما حصل عام 1412م من قبل موسى شلبي وفي عام 1416م أثناء الصراع على الحكم بين مصطفى شلبي و محمد الأول، ومع نهاية الحرب الأهلية العثمانية تزايد الضغط العثماني على سالونيك كما حدث خلال حصار عام 1383-1387م حيث انقسم الرأي داخل المدينة بين مؤيد ومعارض لتسليم المدينة للعثمانيين.

إشكالية البحث

شهدت مدينة سالونيك دون غيرها من أراضي الإمبراطورية البيزنطية خلال العقود الأخيرة من عمر الإمبراطورية حالة من الهدوء والاستقرار ساهمت في قيام نهضة سياسية وحضارية بها، إلا أن هذه الحالة لم تستمر طويلاً فشهد القرن الثالث عشر الميلادي تغييراً في الأوضاع السياسية بالنسبة لمدينة سالونيك. فظهر صراع وتنافس حاد بين العثمانيين والبيزنطية من أجل فرض السيطرة والهيمنة لا سيما في هذه الظروف التي اتسمت بدايةً في حصار مدينة سالونيك منذ عام 1422م من قبل العثمانيين بقيادة السلطان مراد الثاني وصولاً إلى العام 1430م حيث تمكن بعد حصارها بأعداد كبيرة من الجنود وحالات الجوع وهجرة أعداد كبيرة من السكان إلى السيطرة على المدينة وإبرام معاهدة سلام مع العثمانيين واعترفت بموجبها بالوضع الراهن.

- ونظراً لكون الموضوع متشعباً، فإنه من الطبيعي أن يفتح المجال لطرح العديد من الأسئلة والتي تمحورت فيما يلي:
- بم تميزت العلاقة السياسية والعسكرية بين البنادقة والعثمانيين أثناء حصار مدينة سالونيك؟
 - أوضاع مدينة سالونيك خلال هذه الحقبة؟
 - كيف تمكن العثمانيين من السيطرة على مدينة سالونيك؟

دوافع اختيار الموضوع:

- لقد دفعت الباحث عوامل كثيرة إلى اختيار حصار مدينة سالونيك وسقوطها بيد العثمانيين بين عامي 1422-1430م، ومن بين هذه العوامل نذكر:
- الاطلاع الواسع على الحقبة قيد الدراسة، من خلال البحث المقدم دراسة سقوط سالونيك عسكرياً، وعجز البندقية عن إيجاد أي حليف يقف إلى جانبها ضد العثمانيين، الذين إما ركزوا على مصالحهم الخاصة، أو تعارضوا في مصالحهم مع البندقية، أو أصبحوا أتباع للعثمانيين.
 - موقع منطقة سالونيك الجيوستراتيجي في العالم وأطماع العثمانيين للوصول إلى الغرب من خلالها.

أهمية البحث وأهدافه:

موضوع الدراسة (حصار مدينة سالونيك وسقوطها بيد العثمانيين بين عامي 1422-1430م) من الموضوعات الهامة، التي تناولت بالبحث الصراع بين البنادقة والعثمانيين على مدينة سالونيك والتي تعد من أطول المعارك وأطول الحصارات. وتظهر الأهمية أيضاً أهمية مدينة سالونيك السياسية والعسكرية بالنسبة للعثمانيين، والتي مثلت المحطة الأولى في خطط طموحاتهم في الغرب.

منهجية البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، سيتم إتباع المناهج العلمية الموضوعية استناداً إلى الوثائق والمصادر المعتمدة العلمية المتوفرة، وعلى أساس أن التاريخ خبر ورؤية.

الهجمات العثمانية الأولى على سالونيك وتسليم المدينة للبندقية عام 1430م.

بعد نهاية الحرب الأهلية العثمانية التي خرج منها منتصراً السلطان محمد الأول 1413-1421م، دخل في علاقات جيدة مع البيزنطيين الذين ساندوه ضد أخيه في الحرب الأهلية العثمانية، إلا أنه مع ظهور مراد الثاني 1422-1451م تغير الوضع ففي الجانب البيزنطي كان يوحنا الثامن باليولوجس 1425-1448م الوريث والوصي على الإمبراطور المريض مانويل الثاني، والذي لم يكن على علاقة حسنة مع مراد الثاني ودعم مصطفى شلبي كمنافس لمراد وزوده بكل ما يحتاج من عتاد إلا أن مراد الثاني استطاع تحقيق النصر على مصطفى وكان مصمم على إنهاء وجود الإمبراطورية البيزنطية ولذلك عمل على فرض حصار على القسطنطينية عام 1422م من دون أن يحقق أي نتيجة تذكر¹.

أمام اخفاق مراد الثاني في دخول القسطنطينية عمد إلى حصار مدينة سالونيك ودمر ضواحيها²، ووفقاً لأسقف المدينة سيمون 1416-1429م كان قد أرسل يطلب المساعدة من القسطنطينية إلا أن القسطنطينية كانت ضعيفة ولا تستطيع تقديم أي مساعدة، وكانت منشغلة بمشاكلها الداخلية، وبعد عدة مطالب من أسقف مدينة سالونيك أرسل الإمبراطور قائد عسكري إلى المدينة لم يتم معرفة هويته جاء من دون دعم عسكري أو مالي، حيث اقترح هذا القائد إنشاء صندوق دعم من المواطنين لدعم الدفاع عن المدينة، إلا أن هذا الاقتراح قوبل بمعارضة شديدة، خاصة من الأرستقراطيين الأثرياء، الذين رفضوا تحمل تكلفة الدفاع، كما رفض عامة الناس هذا الاقتراح لأنهم كانوا في حالة من الفقر هم يحتاجون فيها من يقدم لهم المساعدة³.

عندما انتشرت الأخبار داخل المدينة بأن العثمانيون عرضوا تسوية سلمية بشرط أن يغادر حاكم المدينة أندرونيكوس المدينة قام العديد من المواطنين بأعمال شغب لصالح الاستسلام للعثمانيين، وفي تلك المرحلة أقنعت مجموعة من الأرستقراطيين حاكم المدينة أندرونيكوس بالسعي لطلب المساعدة من البندقية، وهذه المبادرة ربما اتخذت من دون الرجوع إلى العاصمة القسطنطينية ودون مشاورتها⁴، وفي عام 1423م تم إبلاغ البندقية بنية أندرونيكوس تسليمها مدينة سالونيك، وكان الشرط الوحيد الذي فرضه أندرونيكوس هو احترام الممتلكات والامتيازات التي يتمتع بها سكان المدينة والمحافظه عليها، بالإضافة إلى حرية التجارة، وعدم التعرض للكنيسة الأرثوذكسية داخل المدينة، وتعهد البندقية بالدفاع عن المدينة ضد الهجمات العثمانية⁵.

يذكر المؤرخ بيسيدو سفرانتز Pseudo-Sphrantzes مؤرخ القرن السادس عشر بأن أندرونيكوس قام ببيع المدينة مقابل 50000 دوكا وغالباً ما قبل العلماء هذا البيان حتى منتصف القرن العشرين، إلا أنه لم يتم ذكر ذلك في أي مصدر آخر، كما أنها ليست موجودة في الوثائق الأصلية المتعلقة بهذه القضية، كما أوضح الباحثان كونستانتينوس ميرتزيوس، وبول ليميرل⁶، من ناحية أخرى أنه تمت الموافقة من قبل المبعوثين من البندقية على استسلام المدينة مقابل تقديم مبلغ 20000 من إيرادات المدينة كإعانة سنوية لأندرونيكوس مع تقديم مبلغ 40000 دوكا بشكل فوري عندما يطلبها أندرونيكوس⁷.

عندما وصل العرض إلى البندقية كان قد تم انتخاب فرانثيسكو فوسكاري عام 1423م دوقاً على المدينة، الذي كان مؤيداً لموقف أكثر عدوانية ضد التوسعات العثمانية⁸، إلا أن غالبية مجلس الشيوخ داخل مدينة البندقية كان يفضل الحلول السلمية مع العثمانيين خشية منهم على مصالحهم التجارية، التي قد تؤدي الحرب إلى الاضرار بها⁹. كانت البندقية قد اتبعت منذ الحملة الصليبية الرابعة سياسة السيطرة على القلاع والجزر البيزنطية المنهارة، والتي وفرت روابط تجارية قيمة للبندقية مع الشرق¹⁰، وكانت لبندقية تنظر إلى مدينة سالونيك كهدف توسعي ممكن، ولا سيما أن

القسطنطينية بدت على وشك السقوط بيد الأتراك العثمانيين، ولذلك كانت البندقية قد سعت منذ عام 1419م إلى إعادة تأسيس قنصلية لها داخل المدينة برئاسة جورج فيلوماني، وبعد وفاته عام 1422م تم تعيين شقيقه ديميتريوس¹¹. أرسل مجلس الشيوخ في البندقية عام 1422م مبعوث إلى أندرونيكوس يعلموه بقبولهم عرضه، كما أرسلت البندقية مبعوثها إلى القسطنطينية للحصول على موافقة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني¹²، وفي الوقت الذي أرسلت فيه البندقية مبعوثها إلى كل من أندرونيكوس حاكم سالونيك والإمبراطور البيزنطي عملت على تعزيز دفاعات المدينة، كما أرسلت مبعوثها جيورجيو بروفيدوريتوري إلى السلطان العثماني لإبلاغه بسيطرة البندقية على المدينة مسوغاً ذلك لمنع سقوط المدينة بيد مسيحيين آخرين قد يكونوا على عدااء مع السلطان العثماني، في الوقت ذاته، كان مبعوثين آخرين يريثون إجراءات السلام بين السلطان العثماني والبندقية من ناحية، وبين السلطان العثماني والإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني من ناحية أخرى¹³، ومن الواضح أن الإمبراطور البيزنطي مانويل وافق على الاقتراح بتسليم المدينة إلى البندقية، حيث أنه في 14 أيلول عام 1423م دخلت ست سفن تابعة للبندقية مصحوبة بسفينة بيزنطية إلى ميناء سالونيك، وتم استقبال البنادقة من قبل سكان المدينة بترحيب والذين كانوا ينظرون لهم كمنقذين ضد الخطر العثماني المحيط بهم، عمد حاكم البندقية على الفور إلى إرسال التعزيزات اللازمة للدفاع عن المدينة المحاصرة من قبل العثمانيين بحوالي 5000 جندي كما أرسل المؤن اللازمة¹⁴.

على الرغم من ذلك كانت ماتزال أعداد كبيرة من السكان داخل مدينة سالونيك تؤيد قرار الاستسلام لصالح العثمانيين، فقد أظهرت كتابات متروبوليتان سيمون أن عدداً من سكان المدينة فروا إلى العثمانيين¹⁵، وقد شملت عمليات الفرار بعض النبلاء من الأسر الأرستقراطية.

خلال ذلك توفي الإمبراطور البيزنطي مانويل 1425م وتولى الحكم بعده ابنه يوحنا الثامن 1425-1449م¹⁶، ولكنه تربع على عرش إمبراطورية مقطوعة الأطراف لا تضم سوى القسطنطينية وضواحيها وبعض الأراضي الضيقة على البحر الأسود¹⁷، وكانت الإمبراطورية البيزنطية قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدهور حيث قلت مواردها وانتشر فيها الفقر، ولم يكن بمقدورها سك العملة الذهبية واكتفت بضرب العملة الفضية طوال عهد الإمبراطور يوحنا وخليفته قسطنطين¹⁸.

مع زيادة الضغط العثماني على المورة لم تجد بيزنطة لديها القدرة على الدفاع أو تقديم المساعدات لمدينة سالونيك الأمر الذي دفعها للتنازل عنها للبندقية¹⁹.

ذكر فرانتز أن بيزنطة قد باعت المدينة للبنادقة قبل ذلك أيضاً في عام 1403م بعد استردادها من العثمانيين ولتوضيح ذلك يمكن القول أن بيزنطة قد استردتها ثانية أو أن البندقية كانت قد تولت أمر الدفاع عنها فقط لذلك تم بيعها عام 1423م²⁰ لتتولى الدفاع عنها.

وقد أظهر سكان المدينة ارتياحهم لهذا الأمر في البداية، خاصة بعد أن عانوا الكثير نتيجة غارات العثمانيين المتكررة عليهم²¹، وقد تسلم البنادقة المدينة في عام 1423م بعد أن تعهدوا باحترام عادات وتقاليدهم السكان، وحمايتهم من غارات العثمانيين وأن تجعل منها بندقية ثانية²²، وعلى الفور أرسلت إلى المدينة دوقاً وقبطاناً ودعمت استقرارها في المدينة²³. يذكر المؤرخ البيزنطي المعاصر دوكاس في كتاباته أنه بعد حقبه قصيرة من سيطرة البندقية على مدينة سالونيك قامت البندقية بسجن أربعة أرستقراطيين بارزين بسبب ارتباطهم بالعثمانيين، فقد تم نفي الرجال الأربعة أولاً إلى جزيرة كريت، ثم إلى البندقية نفسها، وبعد سقوط سالونيك عام 1430م بيد العثمانيين تم إطلاق سراح الناجين منهم²⁴. أن قصة المؤامرة التي سجلها المؤرخ المعاصر موروسيني حول قيام أندرونيكوس بتسليم المدينة إلى الأتراك، وبحسب ما أورد بأنه تم اكتشاف المؤامرة عام 1423م²⁵، رفضها رونالد نيكول ووصفها بأنها افتراء²⁶.

الأحداث الدبلوماسية والعسكرية بعد تسليم مدينة سالونيك للبندقية:

ثارت تائفة السلطان مراد الثاني عندما علم ببيع سالونيك، ورفض أن تتبع بيزنطة جزءاً من أملاكها²⁷، وفي الحقيقة حاولت البندقية الاستفادة من وضع بيزنطة المتدهور إلى حد بعيد، فبعد أن تم شراء سالونيك حاولت الحصول على آخيا Achaia كما شرع الإغريق من تلقاء أنفسهم في الانسواء تحت لوائها فطلبت كلاً من آجين عام 1451م وسكوبوليس عام 1453م، ومونمافازيا عام 1462م حماية البندقية²⁸.

لذلك لم يخف العداء للبنادقة فعندما توجه إليه سفيرها أمر بالقبض عليه وإيداعه السجن²⁹، وكانت البندقية تسعى منذ البداية للحصول على موافقة الدولة العثمانية في سيطرتها على مدينة سالونيك من خلال إرسالها سفيرها إلى العثمانيين جورجيو عام 1424م، الذي أخفق في مهمته وتم إلقاء القبض عليه وسجنه من قبل السلطان العثماني مراد الثاني³⁰، حيث رفض العثمانيون قبول تسليم المدينة للبندقية معتبرين أن سيطرة البندقية على المدينة غير قانوني بسبب حقهم السابق في المدينة من خلال الفتح³¹.

تم تلخيص الموقف العثماني من خلال رد السلطان العثماني مراد على سفراء البندقية الذين يسعون للسلام كما سجله المؤرخ دوكاس: "هذه المدينة هي ملك لجدي بايزيد من خلال قوة يده، فقد انتزعها من البيزنطيين، ولو أن الرومان سادوا عليّ، لكان عليهم أن يصرخوا إنه ظلم لكنكم لاتين من إيطاليا، لماذا تخطيتم تلك الأجزاء، لديكم خيار الانسحاب، فإن لم تفعلوا ذلك سأتي أليكم³²".

عندما وصل خبر اعتقال جورجيو إلى البندقية، تم ارسال مبعوث آخر إلى العثمانيين من أجل إطلاق سراح جورجيو، ومحاولة إقناع السلطان العثماني بسيطرة البندقية على سالونيك والمناطق المحيطة بها مقابل تقديم جزية سنوية بين 1000 إلى 2000 دوقية بالإضافة إلى توزيع هدايا سنوية وأموال على كبار رجال السلطان، كما أعطيت تعليمات

مماثلة لقائد أسطول البندقية بييترو لوريدان، الذي أبحر إلى سالونيك ووجدها تحت الحصار فقام بمهاجمة مدينة غاليبولي، كما عمل على محاولة إثارة معارضة بين الحكام المجاورين للعثمانيين وإعاقة مرور القوات العثمانية في الدردنيل، أرادت البندقية من خلال تلك الأعمال أن تبين حقيقة أنها لم تكن ترغب في الحرب، وبلغت القادة العثمانيين عن طريق بييترو لوريدان قائد أسطولها بأن تلك الأفعال كانت نتيجة سجن جورجيو وحصار العثمانيين سالونيك التي حصلوا عليها بشكل قانوني³³.

هكذا كان نمط الصراع المستمر لمدة ست سنوات بين العثمانيين والبندقية في محاولة كل من الطرفين فرض سيطرته على سالونيك، ففي الوقت الذي فرض العثمانيون حصارهم على المدينة، محاولين تجويع من فيها لإجبارهم على إعلان الاستسلام، عملت البندقية على إرسال أكثر من سفارة إلى العثمانيين لتأكيد حيازتها للمدينة ومحاولة الحصول على اعتراف العثمانيين بذلك من خلال عرض تقديم مبالغ مالية سنوية لدعم جهودها الدبلوماسية، ومن جهة أخرى سعت البندقية لمحاولة الضغط على السلطان العثماني من خلال إثارة الاضطرابات للعثمانيين في البلقان، ومحاولتها التحريض من أجل إعداد حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين، إضافة إلى إرسال أسطولها لمهاجمة مدينة غاليبولي الواقعة تحت سيطرة الدولة العثمانية، وفي المقابل عمل العثمانيون على محاولة الضغط على البندقية من خلال شن الغارات على الممتلكات التابعة للبندقية في منطقة بحر إيجه³⁴.

نتيجة الضغوطات المتزايدة على البندقية حاولت استرضاء السلطان العثماني من خلال دفع جزية سنوية قدرها مائة ألف أسبرا Aspra، وهي قيمة الجزية التي اعتاد حكام سالونيك من البيزنطيين دفعها قبل ذلك، عندئذ اعترف السلطان بهذا الوضع مقابل تعهد البندقية بأن يكون في المدينة قاضي عثماني وألا يواجه التجار العثمانيون أية صعوبات عند دخول المدينة³⁵.

سالونيك تحت حكم البندقية.

كانت موافقة السلطان العثماني لسيطرة البندقية على مدينة سالونيك مجرد كسب للوقت فما أن عقد معاهدة صلح مع المجر - عدو البنادقة - مدتها ثلاث سنوات³⁶ حتى اتجه لتصفية حسابه مع البندقية التي زادت الجزية إلى ثلاثمائة ألف أسبرا³⁷، أي أن الجزية قد زادت ثلاثة أضعاف أملاً في إرضاء السلطان العثماني.

ليس من شك أنّ هذه الأعباء المالية جعلت البندقية - إلى جانب انشغالها بحروبها مع نابولي - غير قادرة على الوفاء بما التزمت به لإنعاش اقتصاد المدينة، وقد ترتب على ذلك اتساع الهوة بين المحكومين وحكامهم الجدد³⁸، هذا إلى جانب الخلاف العقائدي الذي زاد من حدة الخلاف بين الطرفين، كل ذلك جعل البندقية تشعر بخسارة هذه الصفقة، ومع حلول شتاء عام 1426-1427م، اقتربت الظروف في المدينة المحاصرة من نقطة المجاعة، وقد أُجبر سكان سالونيك على العيش على الخبز وحده، وحتى هذا الأمر أثبت أنه يمثل مشكلة، فقد اضطرت السلطات لطلب المزيد من شحنات القمح من البندقية عندما كانت الإمدادات منخفضة بشكل خطير، وجعلت ظروف "الفقر المدقع والموت والعوز" السكان أكثر قلقاً، وحتى أولئك الذين رحبوا سابقاً بالبنادقة بدأوا يترددون في بقائها داخل المدينة³⁹، وقد كان من

نتائج قلة المواد الغذائية تعرض دفاعات المدينة للخطر، لأن العديد من الحراس المرتزقة على الجدران الذين دفعت لهم البندقية القمح بدلاً من النقود، انشقوا إلى الأتراك عندما تأخرت حصصهم الغذائية، وأصبح هذا الوضع أسوأ بشكل تدريجي، ومع حلول وقت الهجوم العثماني الأخير في عام 1430م، لم يكن لدى العديد من الجنود أسلحة لأنهم باعوها مقابل الغذاء⁴⁰، وفي وسط هذه الظروف وصلت قوات السلطان مراد بأعداد كبيرة وتم توزيعها أمام الأسوار المواجهة لليابس لحصار المدينة.

بدأ حصار المدينة في السابع والعشرين من آذار عام 1430م، وحاولت البندقية رفع الروح المعنوية لسكان المدينة فأرسلت بعض سفنها إلى ميناء سالونيك محملة بالمؤن والرجال لمساعدتها لمواجهة الحصار⁴¹، وعلى الرغم من ذلك تعالت أصوات سكان المدينة بضرورة تسليمها خوفاً مما قد يحل بهم عند دخول العثمانيين المدينة عنوة⁴²، وقد أدت عمليات الحصار إلى هجرة جماعية من المدينة، حيث باع المواطنون القادرون على المغادرة ممتلكاتهم وهربوا إلى القسطنطينية، وغيرها من الأراضي اليونانية التي تسيطر عليها البندقية، أو إلى العثمانيين⁴³، من بين السكان الذين تم الإبلاغ عن هجرتهم بين 20000 إلى 25000 شخص، أو حتى ما يصل إلى 40.000 شخص، حسب المصادر الإيطالية المعاصرة، تشير التقديرات إلى أنه لم يتبقى سوى 10,000-13,000 نسمة بحلول عام 1429م/1430م⁴⁴، وكانت قد حاولت سلطات مدينة البندقية وضع حد لذلك من خلال منع السكان من مغادرة المدينة، وحظر جميع المبيعات، والرهون العقارية، ونقل الممتلكات، سواء المنقولة وغير المنقولة، ومنع تدمير المنازل وغيرها من الممتلكات والأشجار، وكان قسم من الناس الذين غادروا المدينة يأملون في أن يشكل التدمير رادعاً لأولئك الذين ظلوا وراءهم⁴⁵. كان السلطان مراد الثاني مدركاً الوضع السيء داخل أسوار المدينة ومدى حالة الفقر والجوع التي وصل إليها السكان، كان قد أرسل ضباطاً مسيحيين يعملون تحت خدمته إلى المدينة للتحريض على التمرد ضد البندقية مما تسبب في مزيد من حالات التمرد والاعتقال داخل المدينة، ويذكر أناغنوستس في كتاباته أن عدد السكان في ذلك الوقت كان قد انخفض وأصبح هناك انقسام واضح بينهم بين من يؤيد دخول العثمانيين المدينة بشكل سلمي، والذين دفعهم كرههم للبندقية إلى تشكيل قوة خاصة تدعو لقتل كل من يرفض الاستسلام للعثمانيين، في المقابل كان هناك من يدعوا إلى المقاومة والتصدي للهجوم العثماني والوقوف في وجهه من يدعوا للاستسلام.

سقوط مدينة سالونيك:

نتيجة تشديد العثمانيين حصارهم وازدياد حركات التمرد داخل المدينة كان مجلس الشيوخ داخل البندقية قرر إرسال عدة سفن عسكرية إلى سالونيك تحت قيادة أنطونيو ديبيدو لتعزيز الدفاع عنها، وذلك في 17 آذار عام 1430م، ولكن تلك المحاولة كانت دون جدوى، فقد أظهر حشد من المدافعين عن المدينة مدى حالة الضعف التي وصلت إليه المدينة سواء من حيث عدد المدافعين وتسليحهم ومن حيث رغبتهم في الوقوف بوجه العثمانيين، فقد تمكن السلطان العثماني مراد الثاني بمساعدة أحد الرهبان الموجودين داخل المدينة في قطع أنابيب المياه عنها فعانى سكانها من شدة

العطش⁴⁶، وعندئذ تشاور البنادقة فيما بينهم وفكروا في التخلي عن المدينة لأن الدفاع عنها قد يكلف الكثير في حين أن الكسب منها ضئيل⁴⁷.

بدأ الهجوم العثماني على المدينة مع شروق شمس التاسع والعشرين من آذار عام 1430م، وقد قاوم المدافعون ولكن دون جدوى حيث نجح المهاجمون في إنزال الأضرار بأسوارها وعند أدراك البنادقة فشل جهودهم في الدفاع عنها لاذوا بالفرار ووقعت المدينة في أيدي العثمانيين⁴⁸.

حمل السلطان من المدينة الكثير من الأسرى وحول كنيسة العذراء إلى مسجد ودخل في خدمته الكثير من الشخصيات البارزة من سكان المدينة⁴⁹.

تعلم البيزنطيون والبنادقة درساً قاسياً على يد السلطان مراد، لذلك لم يفكروا في استعادة المدينة وأصبح شغل البنادقة الشاغل هو حماية بقية أملاكهم في المنطقة بإحلال السلام مع السلطان العثماني، وبناءً على المعاهدة التي عقدت بينهما في الرابع من أيلول عام 1430م بقيت المدينة في أيدي العثمانيين وبقيت أملاك البنادقة آمنة في ألبانيا والمورة⁵⁰.

انزعج الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن في القسطنطينية عند سماعه بسقوط مدينة سالونيك بيد العثمانيين، وحاول إعادة ترميم حصون العاصمة القسطنطينية⁵¹، وفتح باب التفاوض مع البابا لعقد مجمع فلورنسا 1438-1439م⁵².

خاتمة

في النهاية نذكر بعض النقاط التي توصلت إليها المصادر التاريخية حول حصار وسقوط سالونيك في الآتي:

1. كان التسلسل الزمني والأحداث المحيطة بفرض الحكم العثماني المباشر على سالونيك في عام 1390م موضوعاً للجدل، فقد أشارت السجلات العثمانية إلى "الاستيلاء" على المدينة، مما دفع بعض علماء الحديث، مثل كارل هوبف، نيكولاي إيورغا، أو ريمون يوسف، إلى القول إلى أن المدينة قد كانت تحت حكم البيزنطيين في هذه الأثناء. هذا الموقف عموماً مرفوض من الدراسات الحديثة. بدلاً من ذلك، يُنظر إلى "الاستيلاء الثاني" كجزء من سياسة أوسع لتعزيز السيطرة المركزية على الولايات الفاسدة من قبل بايزيد الأول، وهو ما يتضح في مكان آخر في الأناضول والبلقان في نفس الوقت.

2. كان البيزنطيون قد دعموا في البداية سليمان شلبي أثناء النزاع مع أخيه موسى، وعندما أطاح سليمان بأخيه شن في عام 1411م هجمات على سالونيك ووضع القسطنطينية تحت الحصار، مما تسبب في تحالف البيزنطيين مع أخيه محمد، وأعطت السفن البيزنطية محمد وقواته حق المرور داخل البوسفور، وقاتلت القوات البيزنطية إلى جانبه، وكانت القسطنطينية ملجأً لمحمد بعد فشل هجومه الأول على موسى في معركة أنسيز.

3. تاريخ سقوط المدينة كان موضوع العديد من التفسيرات الخاطئة، لكن التاريخ الصحيح تم توفيره من قبل جون أناغوستيس، وتقرير من سلطات البندقية في نيغروبونتي عن سقوط المدينة، ورسالة يونانية وجدت في دير Vlatades وهذا يتطابق مع بعض المؤرخين الغربيين والأترك في الوقت ذاته، مثل مارك أنطوان لاجير و لونكلافوس، وكذلك بعض مصادر القرن العشرين أكدوا عدم صحة وضع سنة احتلال المدينة في عام 1429م، في حين quien جنيه وضعها في عام 1431م.

المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية:

- 1- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annales, CSH, ed. (Boon, 1838).p. 121.
- 2- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annales, CSH, ed. (Boon, 1838).p. 67.
- 3- Ducas, Historia: Michael Ducas, Historia Turco-Byzantina, CSH, ed. (Boon, 1834).p. 197.
- 4- Anagnostes, Thessalonicensi: Ioannes Anagnostes, De Extremo Thessalonicensi Excidio Narratio, CSH, ed, (Boon, 1838).p. 490-510.
- 5- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annales, CSH, ed. (Boon, 1838).p.192.

المراجع الأجنبية:

- 1- Schlumberger, Siege: G. Schlumberger, Le Siege La Paris et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453, (Paris, 1922).p. 380.
- 2- Ostrogorsky, State: G. Ostrogorsky, History of Byzantine State, Eng. Trans, J. Hussey, (Oxford, 1955).p. 497.
- 3- Pitcher, Historical: D. Pitcher, An Historical geography of The Ottoman Empire from earliest Times to The End of The Sixteenth Century, (Leiden, 1972).p. 64.
- 4- Stavrianos, Balkans: L. Stavrianos, The Balkans since 1453, (London, 1958).p. 51.
- 5- Menzies, Ottoman: S. Menzies, History of The Ottoman Empire In Europe, (London, 1877).p. 73.
- 6- Nicol, Centuries: D. Nicol, The Last Centuries of The Byzantium 1261- 1453, (Cambridge, 1993).p. 349.
- 7- Kinross, Ottoman: L. Kinross, The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of The Turkish Empire, (London, 1977).p. 85.
- 8- Menzies, Ottoman: S. Menzies, History of The Ottoman Empire In Europe, (London, 1877).p. 73.
- 9- Vasiliev, Empire: A. Vasiliev, History of Byzantine Empire, 2, (Madison, 1971).p. 643.
- 10- Setton, Kenneth M. The Papacy and the Levant (1204–1571), Volume II: The Fifteenth Century. Philadelphia: The American Philosophical Society, (1978).pp. 12-19-20-21
- 11- Fine, John Van Antwerp The Late Medieval Balkans: A Critical Survey from the Late Twelfth Century to the Ottoman Conquest. Ann Arbor: University of Michigan Press, (1994).p. 536.

- 11- Vacalopoulos, Apostolos E. History of Macedonia 1354–1833. Translated by Peter Megann. Thessaloniki: Institute for Balkan Studies. (1973).pp. 77-78-80.
- 12- Magoulias, Harry, ed. Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks, by Doukas. An Annotated Translation of "Historia Turco-Byzantina" by Harry J. Magoulias, Wayne State University. Detroit: Wayne State University Press. (1975).p.171.
- 13- Necipoğlu, Nevra Byzantium between the Ottomans and the Latins: Politics and Society in the Late Empire. Cambridge: Cambridge University Press, (2009).pp.47- 48-49.
- 14- Mertzios, Konstantinos, Monuments of Macedonian History, Thessaloniki: Society for Macedonian Studies, [1949]. Pp. 30-34.
- 15- Madden, Thomas F. Venice: A New History. New York: Viking. (2012).pp.199-200.
- 16- Nicol, Donald M. Byzantium and Venice: A Study in Diplomatic and Cultural Relations. Cambridge: Cambridge University Press, (1992). p.361-362-363.

المراجع العربية والمعربة:

- 1- شارل ديل: البندقية جمهورية أرستقراطية، تر: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، عام 1947م، ص 135.
- 2- هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، ج3، الهيئة العامة، القاهرة، عام 1991م، ص139.
- 3- شارل أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تر: مصطفى طه بدر، القاهرة، د.ع، ص 259.
- 4- هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، ج3، الهيئة العامة، القاهرة، عام 1991م، ص139.
- 5- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط11، تر: نبيه أمين فارس- منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، عام 1988م، ص 427.
- 6- سعيد أحمد برجايوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، بيروت، عام 1993م، ص 64.
- 7- عبد الغني محمود عبد العاطي: معركة فارنا الصليبية، مجلة كلية التربية، دمياط، عدد17، ج2، عام 1992م، ص 193.
- 8- خليل ابنالحيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرنؤوط، بني غازي،

المصادر العربية:

- 1- بيرو طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، تر: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، عام 1968م، ص 157.